ما معنى حديث "خيركم من تعلم القرآن وعلمه"

هذا الحديث رواه البخاري ومسلم وتوضيح معناه يقتضينا أن نتحدث عن معنى الخير، وعن السبب الذي من أجله كان تعلُّم القرآن وتعليمه بهذه المنزلة العالية، وعن الآثار الواردة في فضل التعلُّم والتعليم، وعن واجبنا نحو القرآن الكريم.

فمعنى "خَيْرُكُمْ من تَعَلَّم القرآن وعَلَّمَه" أفضلكم من انتسب إلى القرآن عن هذه الصلة، وهل هو أفضل الناس على الإطلاق، أو أفضل جماعة مُعينة منهم؟ لقد ورد مثلاً قوله ﷺ . "خَيْركم خَيْركم لأهله" رواه الترمذي والنسائي والحاكم فهل الرجل الذي هو خير لأهله أفضل الناس جميعًا؟ توفيقًا بين التعبيرات الواردة في بيان الأفضلية قال العلماء: إن الأفضلية هنا نسبية أو بالإضافة إلى جماعة مُعينة من الناس . فأفضل المُشتغلين بالعلم هم المشتغلون بالقرآن، وأفضل المتعاملين مع الناس بالخير هم المتعاملون بالخير مع أهلهم، فكلٌّ في بابه أفضل، وبالنسبة لجماعته ونوعه أشرف.

ولماذا كانت أشرف مهمة علمية هي ما كانت مُتصلة بالقرآن الكريم؟ الجواب أن القرآن كلام الله، وكل ما كان مُتصلاً بالله كان أشرف شيء في الوجود، وأن القرآن دستور الحياة المثالية دنيا وأخرى، وكلُّ ما كان كذلك كانت الصلة به أشرف ، والانتساب إليه أكرم .وكلام الله عند تلاوتنا له وتفقُّهنا فيه يزيدنا إيمانًا بالله وإدراكًا لعظمته.

ودستور الحياة السعيدة كُلَّما تعمَّقنا في حفظه ودراسته قويت الرغبة في احترامه والعمل على الإفادة من هدايته . والمعرفة عن طريق القرآن معرفة صادقة، والتطبيق على أساسها مضمون النتيجة، وقال تعالى (فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى) (سورة طه : 123) وقال (كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِن الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ) (سورة إبراهيم : 2).

وتعليمنا للقرآن نشرٌ لهدايته، وتوعية للناس بدستورهم، وأساس لمعرفة حقوقهم وواجباتهم، والمعرفة هي طريق العمل، والثقافة داعية النهوض بالمجتمع. والقرآن بالذات جماع الثقافات الصحيحة والمعرفة الصادقة ، ودعوته دعوة للحضارة الأصيلة الشاملة، فهو ليس كتابًا روحانيًا مَحضًا يُرَتَّل للعبادة فحسب، بل هو نظام حياة كاملة في جميع قطاعاتها المادية والرُّوحية، إنه يدعو إلى العلم والعمل والتطور والنهوض، ويُربِّي جيلاً قويَ العقيدة، مستقيم الفِكْر، صافي النفس، متينَ الخُلُق، جديرًا بحياة كلُّها قوة ورخاء وازدهار.

ولأهمية القرآن وضرورته للحياة السعيدة جاءت النصوص الكثيرة مُرَغِّبَة في الإقبال عليه، مُحَذِّرة من التجافي عنه. ففي مجال تعلُّمه وقراءته وتدبُّره ودراسته والتفقه فيه جاء قولُ النبي ﷺ . (إنَّ هذا القرآن مأدبةُ الله فاقبلوا على مأدبته ما استطعتم، إن هذا القرآن حبلُ الله المتين، والنور المبين، والشفاء الناجع، عِصْمة لمن تمسَّك به، ونجاة لمن اتَّبَعه، لا يزيغ فيُستعتب، ولا يعوج فيقوَّم، ولا تنقضي عجائبه، ولا يخَلْقُ من كثرة الرد. اتلوه فإن الله يأجركم على تلاوته، كل حرف عشر حسنات.أما إني لا أقول : آلم حرف، ولكن ألف حرف ولام حرف، وميم حرف" رواه الحاكم بسند صحيح عن عبد الله بن مسعود.

وقال عُقبة بن عامر: خرج علينا رسول الله ﷺ . ونحن في الصُّفة، فقال: "أيُّكم يحب أن يغدو كل يوم إلى بطحان أو إلى العقيق، فيأتي منه بناقتين كوماوين في غير إثم ولا قطع رحم"؟ فقلنا: يا رسول الله كلُّنا يحب ذلك. قال : "أفلا يغدو أحدكم